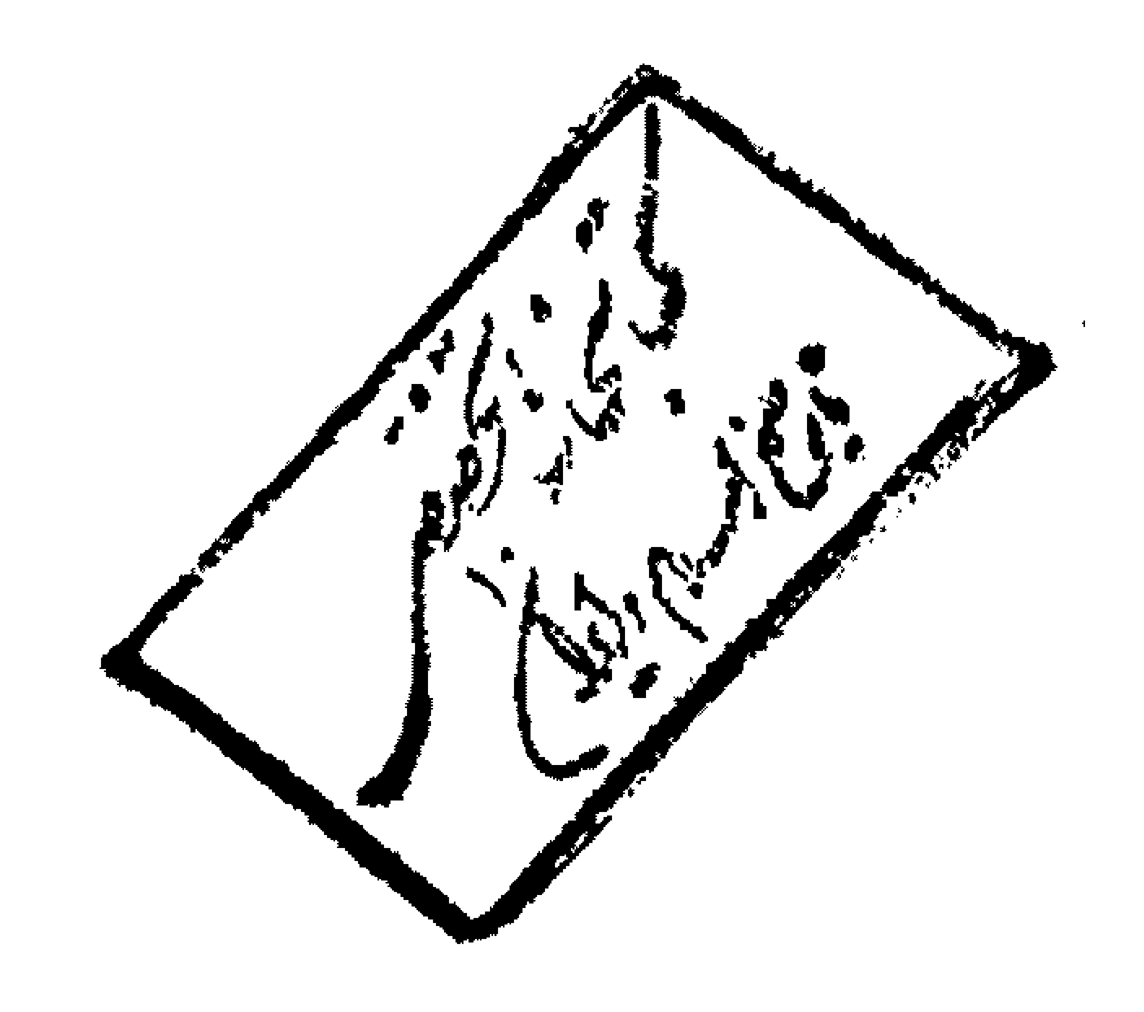


دراسات تاريخية

مجلة علمية فصلية محكّمة

«تعنى بتاريخ العرب»

تصدر عن لجنة كتابة تاريخ العرب ـ جامعة دمشق

السنة السابعة عشر / العددان / ٥٧ ـ ٥٨ / أيلول ـ كانون أول / ١٩٩٦

الاشتراكات	للافراد	للمؤسسات	للطلاب
في القطر العربي السوري	(٢٠٠) ل.س.	(٤٠٠) ل.س.	(١٠٠) ل.س.
في الاقطار العربية	(٢٠) دولار امريكي	(٤٠) دولار امريكي	
في البلاد الاجنبية	(٣٠) دولار امريكي	(٦٠) دولار امريكي	

يمكن الاشتراك بمجموعات الاعداد الصادرة منذ عام ١٩٨١ بالبدل نفسه لكل عام، ويتم تسديد بدل الاشتراك بشيك الى لجنة كتابة تاريخ العرب، أو بتحويل المبلغ الى حساب جامعة دمشق في مصرف سورية المركزي رقم ٢٣/٣٣٢٣.

المراسلات: لجنة كتابة تاريخ العرب- مجلة دراسات تاريخية- جامعة دمشق.

المكاتب: جامعة دمشق- هاتف /٢١٢٤٤٦١/

محتويات العدد

اليهود في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى

د. علي أحمد

جامعة دمشق

مقدمـــة :

في أندلس الأمس ومغرب اليوم ، عاشت مجموعة من اليهود عيشة طيبة رافهة ، يكتنفها الهدوء وتعززها الثقة والأمان ، لأن العرب في كل مكان وفي كل أيام مجدهم، كانوا ينظرون إلى جميع سكان بلادهم نظرة واحدة ، تقوم على أساس أنهم مواطنون في دولة واحدة ، تنظم شؤون حياتهم مجموعة قانونية واحدة ، تطبق موادها على الجميع ، بغض النظر عن الجنس واللون والدين .

في هذا الجو الممتاز ، وجد اليهود بيئة صالحة مناسبة للعيش ، استغلّوها لصالحهم إلى أبعد حدود الاستغلال ، مستفيدين من جو الحرية العامة ، التي تمتعوا بها تحت مظلة الدولة العربية ، فوصلوا إلى مراتب ادارية عالية ، كان ذلك على حد سواء في عصر القوة العربية في الأندلس خلال عصر الامارة والخلافة ، أو في عصر السقوط في زمن دول الطوائف بالأندلس ايضاً . وهذا إن دلّ على شيء ، إنما يدل على سعة الصدر العربي ، الذي تمكن من استيعاب الجميع تحت قيادة عربية واحدة قوية ، وهو بالتالي يشير إلى مدى قدرة العرب على قيادة الناس قيادة حازمة ، تجمع بين العلم والرحمة وبين الحزم واللين .

وعلى الرغم من ذلك الواقع الطيب للعرب ، فإن اليهود لم يقدّروا لهم هذه المعاملة ، وتلك النظرة الانسانية العظيمة ، ولاسيما أن العرب هم الذين خلصوهم من كوابيس الظلم والاضطهاد والعذاب ، التي لحقت بهم خلال فترة طويلة سبقت وصول العرب إلى الأندلس ، فقاموا بتحريرهم وعتقهم واطلاق سراحهم في كل مجال من مجالات الحياة . ومع ذلك فقد وقفوا ضد العرب ، حتى في أيام قوتهم ، عندما كانوا يحاولون اعطاء زخم جديد للمسائل اليهودية، وبخاصة الدينية منها ، مستغلين بذلك روح التسامح العربية ، التي سادت

الأندلس والمغرب وقتاً طويلاً . أما في أيام تراجع العرب وسقوط هيبتهم ، وضعف قوتهم ، فحدّث ولاحرج . فقد انتقلوا إلى جانب الأسبان ، يقومون بخدمتهم ، والدفاع عن حقوقهم العامة ضد العرب ، الذين أعطوهم كل شيء . وكانوا في كثير من الأحيان اشد ظلماً وعدواناً من الأسبان على العرب، برغم أنه لولا ثقافة العرب وعلومهم ، التي درسوها واستفادوا منها ، لما تمكنوا من الوصول إلى المناصب الادارية والاقتصادية الرفيعة ، التي شغلوها في الجانب الاسباني المعادي للعرب .

تفاصيل هذه الأمور ستظهر واضحة من خلال تتبع مضمون الصفحات التالية ، التي قصدنا من كتابتها الوقوف على جانب هام من جوانب حياة اليهود في ظل دولة العرب المتقدمة في الأندلس والمغرب خلال العصور الوسطى ، ذلك لأن الوقوف على هذا الجانب التاريخي الهام من حياة اليهود ، يمكّن المرء من معرفة أكيدة ، في أن الشعب اليهودي ، لايمكن أن يرقى إلى المستوى الانساني، الذي يجعله يظر إلى الآخرين نظرة عادلة ، تعتمد في أصولها على حقوق جميع البشر في التمتع بحياتهم العامة والخاصة ، بحيث لايكون ذلك على حساب الآخرين . كما أنهم دوماً يجعلون من أنفسهم سادة غيرهم ، وحتى تستقيم الحياة برأيهم (الظالم) فلابد من أن تكون البشرية تحت سيطرتهم الثقافية والمادية والمعنوية .

نبدأ بالتساؤل عن الأصول الغابرة لليهود في المغرب والأندلس . للإجابة على ذلك نقول : إننا لن نذهب بعيداً في التحري والبحث عن الأماكن ، التي رحل منها اليهود إلى الأندلس والمغرب ، لأن في ثنايا ذلك أوهام وأغلاط وآراء لاطائل منها ، وبالتالي لايمكن للمرء أن يبلور فكرة راسخة حولها . وكل مايمكن

ذكره في هذا المقام ، أن قسماً مهمّاً من اليهود في اسبانية والمغرب ، يعود في أصوله إلى العصر الروماني . أما القسم الآخر المتبقي من اليهود ، منهم من أصل أوروبي شرقي ، ومن ثم من اصل خزري ، وهذا يعني أن أسلاف معظم اليهود المعاصرين ، لم يأتوا من وادي الأردن وإنما من الفولغا ، ولم ينحدروا من كنعان، وإنما من القفقاس . وأنهم أوثق انتماءً وراثياً إلى قبائل الهون والمجر منهم إلى ذرية ابراهيم واسحق ويعقوب(١) .

ومن ذلك يُستنتج أن اليهود كانوا طارئين على شبه الجزيرة الايبرية (اسبانية) مثلهم في ذلك مثل جميع اليهود في كل مكان . ولم يكن لهم صلة جنسية أو دينية بسائر سكان الأندلس ، وكانت الحياة الاقتصادية في أيديهم وتحت سيطرتهم ، يقدمون القروض والأتاوات والاغراءات للطبقات الحاكمة ، ويبتزون الأموال من الطبقات المحكومة دون تفريق بين غني أو فقير ، أو بين محتاج ومتخم ، ثم كانوا يقرضون المال للجميع بالربا والفوائد ومايتصل بذلك(٢) .

وكما كانت الدولة تضطهد اليهود، كان الأشراف ورجال الدين الاسبان يضطهدونهم أيضاً . وقد جعل رجال الدين اضطهاد اليهود سياسة صريحة لهم، وحملوا الدولة على تبني تلك السياسة ، وكانوا لايبايعون ملكاً على اسبانية إلا إذا تعهد بتنفيذ هذه السياسة . وحجة رجال الدين في اضطهاد اليهود ، هي أن اليهود قتلوا المسيح ، وأنهم يأخذون الربا ، وأنهم يعملون في النخاسة . وأقرت الكنيسة سياسة الاضطهاد هذه سنة (٦١٦م)في أيام الملك سيسيبوت (٦١٢ — ٦٣١م) وكان روماني الهوى وكاتباً باللغة اللاتينية ، وكذلك في أيام الملك سيسناندو ، الذي عُقد المجمع الرابع الكنسي في عهده في مدينة طليطلة سنة

(٦٣٣م) ، والذي اتخذ بحق اليهود قرارات مجحفة غير انسانية[٣] .

وقد أدت هذه السياسة الجائرة وماآلت إليه من أحوال سيئة باليهود ، أن يطلبوا التخلص منها ومن عواقبها ، فراحوا يتآمرون على الدولة الايبيرية بشتى الوسائل ، دون أن يفكروا في أمر وماهية الدولة المقبلة ، التي تخلصهم من هذا الواقع الصعب . وهذا ماجعلهم يميلون إلى الترحيب بقدوم العرب ، لاحبّاً بهم ولاايماناً بجدارتهم ، لأنهم لايحبّون أحداً في الأرض ، بل لأنهم كانوا يأملون بالتخلص من ظلم الاسبان ، الذي شمل كل جوانب حياتهم ، وأن العرب اتصفوا في ذلك الحين بعدلهم وتسامحهم ومحبتهم وإنصاف المظلومين برفع الظلامات عنهم ، من أي الناس كانوا ومن أي الانتماءات . والحقيقة فإن الذي حدث بالفعل ، هو أن العرب لما وصلوا إلى الأندلس ، لم يضطهدوا اليهود دينياً ولاكانوا يأخذون منهم أموالاً بغير حق ، كما كان يفعل القوط ، وبذلك ارتفعت مكانتهم في ظل الحكم العربي[٤] . ومنذ ذلك الحين تمتع اليهود بنعمة الهدوء والاطمئنان والعيش الكريم ، ولم يتعكر صفو حياتهم لحظة واحدة ، إلا عندما كانوا يقومون بأعمال شائنة ، تثير حفيظة العرب ، الذين منحوهم العطف والرحمة ، وقدموا لهم جميع ألوان المساعدة[٥] .

وقد تركز الوجود اليهودي في الأندلس في كل المناطق مع اختلاف في كثافة هذا الوجود ، حيث كان كثيفاً في المناطق الجنوبية العامرة في الحياة والغنية في الأرزاق والايرادات والامكانات المتنوعة ، مثل مدينة غرناطة ، التي دعيت بغرناطة اليهود[٦] ومدينة اشبيلية التي اكتظت بأعداد غزيرة منهم . لكن أكبر مراكز وجودهم في الأندلس ، كان في بلدة اليسانة القريبة من قرطبة ، التي اختصت باليهود دون غيرهم[٧] ، وقد كان وجودهم في هذه البلدة مميزاً . لأنهم

كانوا أكثر ثروة ومالاً وبحبوحة اقتصادية من سائر اليهود في الأندلس[٨] .

وأهم مناطق اليهود في الأندلس ، كانت مدينة طليطلة عاصمة اسبانية القديمة التي كانت تعرف في العصور الوسطى بالثغر الأوسط . وقد كان اليهود فيها كثيري العدد ، وأصبحوا ذوي شأن رفيع في ظل الحكم العربي المتسامح ، الذي سمح لهم بالامتلاك والبيع والتصرف ، كما لو أنهم من العرب المسلمين ، ودليل ذلك وجود كثير من الصكوك البيع والشراء ، كانت تحتوي على أسماء رجال لهم مقام اجتماعي رفيع ، مثل الصك الذي ذكر فيه ماكان يمتلكه أبو هارون موسى بن الشحات الاسرائيلي[٩] .

وبالجملة فإن وجود اليهود في الأندلس ، تركز في المدن الكبرى ، وبعض التجمعات السكنية الكثيفة ، التي يكثر فيها النشاط الاقتصادي ، ولاسيما النشاط التجاري ، الذي برع اليهود في مضماره ، كما سنرى في الفقرات التالية.

وقد ظل اليهود إلى جانب الفئات الأخرى غير العربية ، لم يعيشوا في أحياء خاصة بهم في المدن سابقة الذكر . ولم يكن لهم زي خاص بهم ، يتميزون به عن سواهم خلال القرون الأولى من حكم العرب في الأندلس والمغرب على الأقل ، كما كانت العادة في المشرق العربي[١٠] وكانت بيوتهم في أحيائهم قريبة من بعضها ، تتصل فيما بينها بدروب ضيقة وساحات صغيرة ، وفي هذه الأحياء يوجد بعض الحمّامات والمعابد[١١] .

وفي المغرب العربي كغيره من بلدان العالم ، وجدت بعض الجاليات اليهودية، التي انتشرت في عدد كبير من مدنه وبلداته ، من حدود بلدة شالة في

المغرب الأقصى حتى تاهرت في المغرب الأوسط ، ومن بداية افريقية (تونس) حتى نهايتها . وكانت هذه الجاليات تتوضع بشكل خاص في المدن الكبرى ، مستغلة في ذلك وقبل كل شيء روح التسامح العربية ، ومقدرة العرب على استيعاب جميع السكان والمساواة فيما بينهم ، إذا التزموا في حدود القانون والنظام العام . فمنذ القديم ضم المجتمع القرطاجني ، الذي شمل رقعة واسعة من ارض المغرب العربي ، ولاسيما الأقسام الشمالية منه ، ضم بعض الجاليات اليهودية ، التي بدأت بالمجيء إليه منذ سنة ٥٨٨ ق.م، على أثر قيام الملك البابلي بختنصر بتنقية مجتمع مدينة بيت المقدس في فلسطين من الشرور اليهودية[١٢] . ولايستبعد أن تكون مجموعة مهمة من يهود اسبانية ، قد انتقلت إلى المغرب قبل وبعد الفتح العربي الاسلامي للاندلس والمغرب . فقد ظهر اليهود قبل الفتح على صعيد التدخل في الشؤون السياسية لكلا البلدين ، مثال ذلك أنهم قاموا بمساعدة الفاندال في اسبانية ، وكذلك في المغرب عندما احتله الفاندال ، وذلك انتقاماً من المسيحيين الإسبان ، الذين كانوا يعاملونهم بقسوة[١٣] . وبقي اليهود يتمتعون بحرية الإقامة والإنتقال في كل أقطار المغرب العربي ، عندما فتح العرب جميع أقطاره ، وازداد استقرارهم تدعيماً وقوة في عهد الدول الانفصالية، التي قامت في القرن الثاني الهجري ، كدولة الأغالبة في تونس ، والدولة الاباضية الرستمية في تاهرت بالمغرب الأوسط (الجزائر اليوم) ، ودولة بني مدرار في سجلماسة بالمغرب الأقصى ، حيث باشر اليهود أعمالاً متعددة الوجوه ، ولاسيما التجارة التي نشطت خلال القرن الثالث الهجري بين أقطار المغرب وافريقية من جهة ، وبين الاندلس من جهة ثانية ، وبخاصة تجارة الذهب ، التي تميز اليهود بها ، وعرفوا اسرار نجاحها وطرقها المربحة .

ويبدو أن عدد الجالية اليهودية في المغرب ، كان كبيراً إلى حد ما ، يدل على ذلك ، أن اليهود كانوا أكثر من المسيحيين في المغرب. فمنذ الأيام الأولى لبناء مدينة فاس المغربية ، شكل اليهود فيها جالية كبيرة ، فيذكر ابن أبي زرع في كتابه (الأنيس المطرب بروض القرطاس) أن إدريس الثاني فرض الجزية على يهود فاس ، فكان مبلغ جزيتهم في كل سنة ثلاثين ألفاً(١٤) . ويذكر ابن حوقل في عدة مواضع من اراضي الفاطميين ، كانت تجبى ضريبة تسمى (الجوالي)، ويكاد يكون من المؤكد أن هذه الضريبة هي الجزية نفسها ، التي كانت تفرض على غير المسلمين(١٥) .

وعلى الرغم من التسامح العربي شبه الكامل مع اليهود في المغرب العربي ، فقد يبدو من الواضح في تاريخ المغرب والأندلس حتى نهاية القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، أنه لاوجود لليهود في ميدان الادارة العامة على الاطلاق ، وإن وجد استثناء لذلك ، فهو قليل ونادر جداً ، وربما يعود سبب ذلك إلى قوة الوجود العربي على هذا الصعيد ، حيث الكوادر العربية الادارية متوافرة بصورة كافية ، وهذه الكوادر تتفوق على غيرها بالعلم والمعرفة والخبرة والتوجه ، هذا بالاضافة إلى تماسك الدولة وقوتها وزخمها الحي ، وبخاصة خلال عصر الامارة والخلافة الأموية في الأندلس ، وبالتحديد خلال فترة حكم الخليفة الناصر لدين الله وولده الحكم المستنصر ، والتي استمرت من سنة ٣٠٠ - ٣٦٦هـ / ٩١٣ - ٩٧٧م ، حيث وصل يهودي واحد إلى شغل منصب الوزارة، ساعده على ذلك تعمقه في أصول وأنواع الثقافة العربية ، وكذلك التسامح العربي في عصر الخلافة، الذي ترافق مع تقدم البلاد على كل الصعد ، ولاسيما منها الاقتصادية والعلمية . هذا الوزير هو أبو يوسف حسداي ابن اسحق بن عزرا بن شبروط

المتوفى سنة ٣٥٩هـ / ٩٧١م ، الذي اشتغل عند الخليفتين سابقي الذكر في ميدان الادارة والطب على حد سواء ، وقد كانا يشاورانه في كثير من الأمور الكبيرة الخاصة بالدولة(١٦) .

أما فيما بعد هذه الفترة الذهبية ، فقد اختلف الأمر بصورة جذرية ، ولاسيما خلال عصر دول الطوائف بالأندلس ، عندما سقطت الخلافة الأموية ، وظهر عدد كبير من الدول ، كان التناحر والتقاتل هو القاسم المشترك فيما بينها، الأمر الذي أدى إلى استخدام العناصر غير العربية ، ليس في مجال الادارة فحسب، بل في جميع المجالات . وبرز من بين هذه العناصر ، العنصر اليهودي ، الذي استطاع بذكاء وحسن تدبير من الدخول إلى أعماق وكيان حكام دول الطوائف ، الذين تغافلوا عن كل شيء يتعلق بحقوق الوطن ، وراحوا يركضون خلف مصالحهم الشخصية والعائلية والقبلية .

وقد اعتمد حكام الطوائف على اليهود في بعض الأعمال المهمة في مجال الادارة ، وحاول هؤلاء اليهود من خلال المناصب التي شغلوها ، إلى الاساءة للعرب ، وذلك بالوقوف ضد مصالحهم الوطنية . وفي تاريخ الأندلس الكثير من الأمثلة على ذلك ، نسوق بعضها على سبيل التمثيل لواقعهم الحقيقي في الأندلس. فحينما استقر الحكم للزيريين في غرناطة ، وأصبحت واحدة من دول الطوائف في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، قام باديس بن حبوس ، أحد حكامها المشهورين بتعيين اسماعيل بن نغريلة اليهودي وابنه يوسف وزراء في بلاطه . وخلال فترة قصيرة من الزمن ، اشتهر أمر اسماعيل ، فأصبح المتصرف الوحيد والرئيس في جميع الأشغال والأعمال في دولة باديس ، وفاز بالجاه والمال ورفع إلى أعلى منزلة ، فاتخذ عمالاً ومتصرفين في الأشغال من ابناء

جنسه (اليهود) فاكتسبوا المال والمراتب ، وتطاولوا على العرب . وفيه يقول الشاعر الأندلسي عبد العزيز بن خيرة القرطبي المعروف بالمنفتل :

قرن الفضائل والفواضل ... فشأى الأواخر والأوائل
سقطوا برفعة فضله ... كالشمس في شرف المناقل
متقلد سيف العلا ... والمكرمات له حمائل

وقد أثارت هذه الأبيات وغيرها حفيظة وغضب ابن بسام الشنتريني فعلق في أواخر القصيدة قائلاً : « ... وأبعد الله المنفتل فيما نظم فيه وفصل وقبحه وقبح ما أمل »(١٧) .

وكان من عظمته في دولة الحبوسيين بغرناطة ، أن قبل فيه بعد أن شوهد في قرطبة مع سيده باديس بن حبوس حاكم غرناطة : « ولم أفرق بين الرئيس والمرؤوس وتشابهت المناكب والرؤوس » . وقال عنه ابن السقاء الوزير القرطبي المعاصر : « إنه نسي اليهودية وكان منهمك في نظر الكتب ، ونشد أشياء من علم العرب ، وكان آخر أمره أن حجب صاحبه عن الناس ، وسجنه بين الدن والكاس ، ملحاً في أمره مبرماً لأسباب غدره ... »(١٨) .

ولم يرض بهذه المكانة الرفيعة ، التي شغلها في دولة الحبوسيين بغرناطة ، بل راح يتآمر على سيده ، الذي جعله أهم شخصية بعده ، وذلك بالاجهاز على السلطان الزيري كله واستبداله بسلطان بني صمادح أصحاب المرية ، واتخذ الترتيبات المناسبة لتحقيق انتصارهم ، واحتلال مدينة غرناطة . وقد أفلح هذا اليهودي في إخراج القواد الأقوياء من غرناطة بحجة حمايتها من غزو ابن عباد صاحب اشبيلية ، وأثار طمعهم بالأموال المخصصة لهم ، بينما أغفل الحصون الشرقية المجاورة لدولة المرية ، وأغفل تزويدها بالعدد والمؤن الضرورية ، حتى

خلا الكثير منها ، وفكر القائمون عليها أنه لم يعد هناك دولة ولاسلطان . وحيثما وجد الفرصة مناسبة ، أشار على ابن صمادح بالتقدم ، واستطاع احتلال وادي آش بسهولة ، وتقدم نحو غرناطة ، حيث تظاهر اليهود بالخوف كالآخرين ، وانتقل من المدينة إلى القصبة . وفي الليلة المتفق عليها لفتح الأبواب لابن صمادح أفشى أحد العبيد الضالعين في المؤامرة بالسر ، وصاح بذلك بين الناس محذراً ومشيراً إلى مدبرها ، فقامت العامة على اليهودي وهاجموه في محبسه وأحرقوه بالفحم ، ولوحق اليهود على أثر ذلك ، فقتل منهم أكثر من أربعة آلاف شخص في غرناطة(١٩) . وكان هذا اليهودي معداً اعداداً تاماً للقيام بأعباء الوزارة ، حيث كان يمتلك جميع المؤهلات العلمية والتثقيفية ، إلا أنه كان يحتاج إلى لين الجانب والتواضع ، وراح يظهر بمظهر أميرهُ باديس ممتطياً جواده إلى جانبه ، وشارته في الملبس كشارته ، حتى أن الناظر اليهما ، لايفرق بين الأمير ووزيره بل كان هو المسيطر المتسلط على باديس(٢٠) .

إلى جانب آل النغريلة ، فقد اشتهر في غرناطة خلال عصر الطوائف أيضاً، اليهودي صموئيل هاليفي وكان يدعى عباد بن نغدلة ، الذي ولد في قرطبة ، ودرس التلمود على الربان هانوخ الرئيس الروحي للجالية اليهودية . ثم انصرف بجد ونجاح إلى دراسة الأدب العربي ، وتثقف بأكثر العلوم ، التي كانت معروفة إلى ذلك العهد ، ثم اشتغل في مجال التجارة مدة طويلة في قرطبة ومالقة، ثم ضحك له الحظ ، وانتشلته بعض الفرص السعيدة من هذا المركز الوضيع ، ذلك أن حانوته كان قريباً من قصر أبي القاسم بن العريف وزير حبوس ملك غرناطة. وكان على رجال القصر في الغالب ، أن يراسلوا مولاهم فيما يعرض لهم من الشؤون . ولكونهم جهلاء بفن الكتابة لجأوا إلى صموئيل هذا ، فكتب لهم

ماتمس إليه الحاجة من تلك الرسائل ، التي أثارت اعجاب الوزير ، إذ ألفاها مكتوبة بأبلغ وأجزل أسلوب عربي ، مما حمل الوزير عند عودته إلى مالقة ، أن يسأل عن المنشيء لتلك الرسائل ، ولما علم أنه اليهودي استقدمه إليه وخاطبه بقوله : « وليس خليقاً بك أن تبقى صاحب حانوت ، وما أجدرك أن تكون كوكباً يسطع لألاؤه في بلاط الملك ، فإذا توافرت على ذلك رغبتك فإني متخذك لي ناموساً خاصاً فتقبل منه هذه المنة شاكراً ، وصحبه الوزير معه عند عودته إلى غرناطة وازداد اعجابه به ، عندما أخذ يبادله الحديث في شؤون الدولة، إذ وقف منه على رجل نادر الذكاء بين الرجال ، بعيد النظر ، سديد الرأي ، حتى قال بعض المؤرخين اليهود : « إن النصائح التي كان يسديها صموئيل كانت بمثابة أقوال صادرة عن إنسان ملهم يستوحي كلام الله ويستفسره » ولهذا كان الوزير يأخذ بها ، ويخصه بجميل الثناء . ولما أحس الوزير بدنو الأجل في مرضه ، الذي مات فيه ، جاء الملك يعوده ، وقد داخله حزن عميق على وزيره وخادمه الأمين ، فانتهز الوزير هذه الفرصة وقال للملك: « ولم تكن النصائح والآراء الرشيدة التي كنت أبديها لك أيها الملك في العهد الأخير صادرة مني ، بل كانت وحياً أتلقاه من صموئيل ذلك اليهودي ، الذي آثرت أن يكون ناموسي الخاص ، فاقصر نظرك عليه واتخذه أباً لك ووزيراً ، أخذ الله بيدك وشدّ به أزرك » .

وقد عمل الملك الغرناطي حبوس بهذه النصيحة ، وأحلّ صموئيل بالقصر محلّ وزيره الراحل ، وصار ناموس الملك ومستشاره ، وهي الفرصة الأولى ، التي توصل فيها اليهود إلى الوزارة في الأندلس ، علماً أن بعض اليهود قد تمتع على الأرجح بشيء من الاعتبار والحظوة لدى بعض حكام الأندلس العرب المسلمين،

الذين كانوا يستعملونهم غالباً على وزارة المالية . ولكن التسامح العربي في الأندلس ، لم يبلغ إلى حد أن يتولى يهودي رئيس الوزراء ، وإذا جاز هذا الأمر في جهات أخرى ، فلم يكن ليجوز في غرناطة ، تلك المدينة التي كثر عدد اليهود المقيمين فيها . ولما كانت في أيديهم معظم الثروة ، فقد كانوا يتدخلون غالباً في شؤون الدولة .

ويصح أن يفسر سمو صموئيل إلى هذا المنصب بأسلوب آخر ، فإنه لم يكن من السهل على ملك غرناطة ، أن يعثر على من يقلده منصب الوزير الأول ، إذ من المحقق أنه لم يكن باستطاعته أن يسند هذا المنصب الخطير ، لا إلى رجل من المغاربة ، ولا إلى آخر من العرب من غير المغاربة ، لأنه لم يكن يثق بأي من الطرفين ، ولم يبق أمامه سوى اليهود[21] .

وهكذا اتخذ من هذا الرجل وزيراً له . فعلى الرغم من أنه بقي على دينه، كان لاينحرف وهو يكتب لأساطين المسلمين عن أن يستعمل في رسائله ومكاتباته الصيغ والنصوص والعبارات الدينية المألوفة عند كتاب المسلمين . فلابد أن يكون هذا الرجل قد أحرز من البلاغة العربية كنزاً ثميناً ، كان ينفق منه كلما أراد الكتابة ، وهذا لم يشعر الملك وقد رفعه إلى منصة رئاسة الوزراء بخجل، والعرب أنفسهم قد ارتاحوا إلى هذا الاختيار ووافقوا عليه ، أما لأنهم كانوا يشعرون أنه نتاج الثقافة العربية الواحدة ، أو أنهم أرادوا تأييد ارادة الحاكم على المستوى الظاهري على الأقل .

وقد استغل مكانته ، فقام يسهر على المصالح اليهودية . ويعنى بالشبيبة اليهودية عناية أبوية ، ويتفقد فقراء الحال منهم ، ويمدهم بما يسد حاجتهم على كل صعيد ، وكان في خدمته كتاب ينسخون (المشنا والتلمود) فكان يوزع

نسخها جوائز على التلاميذ ، الذين لايستطيعون شراءها . ولم تكن مكارمه وخيراته واحساناته ، لتقتصر على أتباع دينه في اسبانية فحسب ، بل كانت تتعداهم إلى أمثالهم في افريقية وصقلية والمشرق . وقد أصبح اليهود في كل صقع وبلد ، يعتمدون عليه كمصدر للمعونات والرزق . لذلك فقد قام يهود غرناطة بمنحه لقب (ناغد) أي زعيم أو أمير يهود غرناطة[٢٢] .

وفي غرناطة أيضاً ، عُرف بعض الاداريين اليهود الآخرين . وكانت مناصبهم الادارية التي شغلوها من أهم المناصب لحساسيتها ودقتها وتأثيرها على الصعيد الاقتصادي . فقد استلم أبو الربيع اليهودي منصب الخازن في دولة غرناطة . والخازن كما هو معروف في ذلك العهد ، كان يقوم بوظيفة الاشراف على عدد من المهمات الكبيرة ، فقد كان مسؤولاً عن خزانة الأموال العامة ، من حيث جمعها وتوزيعها في شتى الوجوه والسبل ، كما كان مسؤولاً عن ادارة المستودعات العامة لمواد التموين المختلفة من غذاء وكساء ومرافق . وقد كان أبو الربيع اليهودي سالف الذكر مسؤولاً عن خزانة الأموال في دويلة غرناطة في عهد حاكمها باديس بن حبوس ، الذي اشتهر كأعظم حاكم أندلسي ومغربي اعتمد على اليهود في مجال الادارة العامة[٢٣] .

ولم تكن دويلة غرناطة وحدها ، التي اعتمدت على اليهود في الميدان الاداري ، كما لم يكن الغرناطيون وحدهم ، الذين انفردوا بايصال اليهود إلى مرتبة الوزارة ، بل حدث الشيء نفسه في بلاط بني هود بولاية سرقطة (الثغر الأعلى) في شمال شرق الأندلس . حيث وصل إلى وزارتهم اليهودي أبو الفضل بن حسداي ، الذي تحول من اليهودية إلى الاسلام ، وكان من مشاهير الأدباء في الأندلس[٢٤] . وفي عصر دول الطوائف أيضاً ، استخدم اليهود بكثرة لجمع

الضرائب والمكوس من العرب وأهل الذمة ، وقد نجحوا في ذلك نجاحاً باهراً[٢٥] .

وقد استخدمهم الجانب الاسباني في المجال الاداري ، وبخاصة في الادارة المالية ففي سنة ٤٧٥هـ / ١٠٨٢م قام الفونسو السادس بإرسال وفد إلى حاكم اشبيلية المعتمد بن عباد ، يطالبه بدفع الجزية المترتبة عليه ، وكان رئيس هذا الوفد يدعى ابن شاليب اليهودي ، الذي رفض عيار الذهب المقدم كجزية إلى الفونسو، وهدد الاشبيليين بكل وقاحة وجرأة ، بأن الجزية ستؤخذ في العام القادم على هيئة أراضٍ ، مما أثار حنق وغضب المعتمد بن عباد ، الذي شعر بالذل والمهانة من خلال هذا التهديد ، الذي يعني في أبسط اشكاله ، أنه لاقيمة لحكمه ولا لشخصه ولا لوجوده ، فأمر بسجن الوفد وصلب ابن شاليب اليهودي منكساً[٢٦] ، وهذا يشير إلى حقيقة هامة ، تتجلى في أن اليهود في الأندلس في ذلك العصر ، كانوا يشعرون أنه لاقيمة للعرب ، بعد أن تفرقوا على هيئة دول مدن هزيلة ، ولن يكون بمقدورهم عمل شيء ، مهما كانت الأذية بالغة الضرر، الأمر الذي شجع ابن شاليب على القيام بتصرفه سابق الذكر . ويشير من ناحية أخرى إلى أن اليهود في الأندلس ، كانوا دوماً مع الجانب القوي والمنتصر . ويبدو أن الإسبان في عهد الطوائف ، حاولوا استقطاب اليهود في صراعهم ضد العرب في الأندلس ، فسمحوا لهم بإقامة اشياء لم يكن مسموحاً بها في العصور الماضية ، الأمر الذي كان يستهوي قلوب اليهود ، ويجعلهم يفضلونه ، من منطلق أن كفة الرجحان كانت تميل لصالح الاسبان . فقد قام الإسبان في مدينة طليطلة باعتماد صموئيل اللاوي وزيراً في بلاطهم خلال النصف الثاني من القرن الرابع عشر الميلادي . وعلى عادة اليهود فقد استغل

منصبه هذا ، فبنى كنيساً لليهود على نفقته الخاصة . وأطلق عليه تسمية كنيس (الانتقال) وظل قائماً حتى قام كاثوليك اسبانية بطرد اليهود ، وحولوا هذا الكنيس إلى كنيسة باسم (سان بنيتو)[٢٧] .

وفي المغرب العربي وجد اليهود تشجيعاً قوياً من قبل الحكام ، حتى ماقبل نهاية القرن الخامس الهجري بسنين قليلة ، ذلك لأن عرب المغرب كانوا كأخوتهم في الأندلس خلال عهود القوة العربية الواحدة ، ولاسيما خلال عصر الامارة والخلافة الأموية ، كانوا يعاملون اليهود معاملة طيبة ، وذلك انطلاقاً من نظرتهم الانسانية الرائعة، هذه النظرة التي لاتفرق بين الناس ، طالما هم ملتزمون بمسيرة الحكم العامة .

ففي عصر الفاطميين في المغرب ، تمتع اليهود بحرية واسعة في ممارستهم لأعمالهم العادية والضرورية ، الأمر الذي مكنهم من شغل مناصب إدارية عالية في الدولة . نذكر على ذلك مثلاً يعقوب بن كلس اليهودي ، الذي دخل في خدمة المعتز الفاطمي سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٨م ، واعتمد عليه في أمور خطيرة جداً، منها أنه قام بتشجيعه على الهجوم على مصر[٢٨] .

وكان المعتز الفاطمي يعتمد اعتماداً كبيراً على آراء الحاخام اليهودي بلطيل ابن شفاطيا ، الذي كان يقوم بتقديم معلومات فلكية وتنجيمية للمعز ، حينما كانت قواته تحاصر منطقة أوريا ORIA في جنوب ايطالية ، فبشره بالخير بخصوص نجاح هذه القوات في أعمالها الحربية ، فاعتمده مستشاراً خاصاً به ، ووزيراً لمملكته في المغرب عند اقامته بمدينة القيروان ، وكذلك بعد انتقاله إلى مصر[٢٩] . وفي عصر دولة بني مرين في المغرب الأقصى ، اشتهر كثيرٌ من اليهود، الذين كانوا يعيشون في مدينة فاس. وقد تمكنوا من الوصول إلى البلاط المريني،

ولاسيما في فترة حكم يوسف المريني، فكانوا يرافقونه في حله وترحاله ويقومون بخدمته، وذلك منذ طفولته، وكانوا يتولون ادارة شؤون بيته، ويقضون أموره الخاصة به، ويجالسونه في خلواته وينادمونه في ساعات أنسه ولهوه. وبشكل عام فقد عظم شأن اليهود عند سلاطين بني مرين، فاستخدموهم في أعمال كثيرة، من أمثال خليفة بن وقاصة وأخوه ابراهيم، وصهره موسى بن السبتي، وابن عمه خليفة الأصفر وغيرهم. وقد استمروا على ذلك فترة من الزمن، إلى أن قام السلطان يوسف المريني سنة ٧٠١هـ / ١٣٠٢م بقتل هؤلاء جميعاً، ماعدا خليفة الأصفر، الذي قتله بعد مدة[٣٠].

ولما مات الخليفة يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المريني، خلفه ابنه أبو الربيع سليمان ابن يوسف بن يعقوب، فرفع من شأن الكاتب أبي محمد عبد الله بن أبي مرين، كما كان في أيام والده. وكان بنو وقاصة اليهود، يرون أن سبب نكبتهم أيام السلطان يوسف، كانت بسعاية أبي محمد بن أبي مرين؛ وكان خليفة الأصفر اليهودي منهم، وقد أفلت من الموت، وتمكن من استلام بعض أعمال السلطان أبي الربيع، فجعل محور عمله التآمر على أبي مرين والانتقام منه. فبلغ السلطان بأن أبا مرين قام بإنشاء بعض خصوصيات السلطان، ولاسيما موعد خلوته مع نساء حاشيته، فأمر بقتل أبي مرين. ولم تمض فترة وجيزة حتى اكتشف أمره، فجاء باليهودي خليفة بن وصافة الأصفر وحاشيته فقتلوا جميعاً[٣١].

وعلى الرغم من كل ذلك، فقد عاد السلاطين المرينيون فيما بعد إلى استخدام اليهود في الادارة، وفي أماكن حساسة للغاية، كما فعل السلطان عبد الحق المريني، عندما قتل وزيره يحيى بن يحيى الوطاسي وحاشيته، وعين مكانه

رجلين من اليهود، قاما بمعاملة أهل فاس معاملة قاسية، مما أثار حفيظة أهلها على السلطان فقاموا بقتله سنة ٨٦٩هـ / ١٤٦٥م[٣٢] . وهكذا فإن اليهود، الذين عملوا في الميدان الإداري في المغرب والأندلس، لم يلتزموا بحدود الخطة التي رسمت لهم من قبل حكامهم، فراحوا يسعون لتحقيق مصالحهم ومصالح الجالية اليهودية في كل من المغرب والأندلس، وأدى بهم الأمر إلى التطاول على العرب من خلال قوة مناصبهم الادارية.

وشغل اليهود في الحياة السياسية في المغرب والأندلس دوراً هاماً للغاية ، الأمر الذي يجعلنا نقف عنده وقفة متأنية ودقيقة ، لأنه مؤشر ثابت في عمق الحياة اليهودية في كل زمان ومكان عاش فيها اليهود على الأرض .

قام العرب الفاتحون في الأندلس باستخدام اليهود في حاميات المدن، التي كان يفتحها الجيش العربي، حتى يتمكنوا من المحافظة على قوة الجيش كاملة. وكان اليهود يريدون من خلال وقوفهم في الصف العربي، نسف الامبراطوريتين الرومانية والبيزنطية، وكذلك الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والممالك الفرنجية بأسرها، وبشكل خاص قهر الإسبان، والتخلص من الظلم الإسباني، الذي عكر صفو حياتهم العامة[٣٣] . ويؤكد هذه الحقيقة أيضاً لويس برتراند عضو الأكاديمية الفرنسية في كتابه (تاريخ اسبانية) بقوله : « إن موقف اليهود عبر القرون لم يتبدل، إنهم حلفاء الافريقيين ضد الإسبان وحلفاء الإسلام ضد المسيحين، وحلفاء المسيحين ضد المسلمين عندما تبدل نجمهم. إنهم يفرقون بين أعدائهم ليسيطروا عليهم[٣٤] . ولم يقتصر دورهم على التفريق بين العدو والصديق، بل قاموا بالتفريق بين الصديق وصديقه، وبين الأخ وأخيه، مثال ذلك، أنه كان عند عبد الرحمن بين حبيب والي افريقية رجل يهودي ، هو الذي

شجعه على طرد عبد الرحمن الداخل من المغرب، حينما أخبر عبد الرحمن بن حبيب، بأن الداخل ينوي اقامة دولة أموية في المغرب[٣٥] .

ويبدو أن اليهود منذ قديم الزمان، تعودوا على استخدام طريقة شائنة ومخزية في القضاء على الخصوم السياسيين، تتجلى في استخدام النساء كأداة للتنفيذ. ففي عصر الإمارة الأموية بالأندلس وخلال فترة حكم الأمير عبد الله بن محمد الأموي، اشتهر أمر الثائر سعيد بن جودي، الذي التجأ إلى عمر بن حفصون، زعيم الثائرين في هذه الفترة على الأمويين، وبقي عنده فترة من الزمن، ولم يتمكن الأمير الأموي من التخلص منه، إلا من خلال التآمر مع عيشقة له من اليهوديات، حيث قتل في دارها[٣٦] .

مع ذلك فقد اعتمد العرب على اليهود في مسائل بالغة الخطورة والحساسية. فقد اعتمدوا عليهم في تحضير وإعداد الأطعمة. فكان للمنصور محمد بن أبي عامر رجل من اليهود، لاعمل له سوى البحث عن توضع النحل في الكهوف والشعاب الجبلية في الأندلس، وذلك من أجل استخراج العسل الخاص، الذي يتألف كما هومعروف من رحيق الأزهار المتنوعة في بيئة الأندلس[٣٧] .

وفي عصر الإزدهار العربي في الأندلس، الذي صادف عصر الخلافة الأموية فيها، قام أشهر خليفة أندلسي، وهو عبد الرحمن الناصر لدين الله بإرسال سفير من اليهود، هو حسداي بن شبروط إلى جليقية لعقد صلح مع رذمير الثاني في سنة ٣٢٩هـ / ٩٤١م وإطلاق سراح محمد بن هاشم التجيبي ، القائد الذي أسر في وقعة الخندق سنة ٣٢٧هـ / ٩٣٩م . وقد نجحت السفارة في اطلاق سراح التجيبي وعاد مع السفير اليهودي حسداي بن شبروط[٣٨] .

واستخدم اليهود في مدينة قرطبة في بعض الأحداث السياسية، التي كان وقعها كبيراً في نفوس الأندلسيين، من ذلك استخدام أحد اليهود، الذي كانت فيه بعض نواحي شبه بشخص الخليفة هشام المؤيد الأموي، على أنه هو الخليفة، فقد أمر محمد بن هشام بن عبد الجبار، أن يشهد بعض من حضر وفاته من أصحابه، على أنه هشام المؤيد الأموي، وأحضر القاضي ابن ذكوان والفقهاء بجموعة من عامة الناس، فصلوا عليه وقاموا بتقديم العزاء لاقربائه كما هي العادة(٣٩) .

وفي بعض بلاطات حكام الأندلس، اعتمد اليهود كمنجمين، يتوقعون ويستنبطون بطرق سحرية عجيبة، ماسيكون عليه الأمر في المستقبل. يضاف إلى ذلك أن هؤلاء الحكام رأوا اليهود في أحلام نومهم، فاستبشروا ببعض الأمور المفجعة، كما جرى مع أحد أمراء المنصور محمد بن أبي عامر خلال الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، حينما رأى في أحلام نومه يهودياً يمشي في أزقة مدينة الزاهرة(٤٠) ، وهو يحمل خرجه على عنقه وينادي بعبارة (خروبش) فسأل المفسر عن ذلك ، فأخبره باقتراب خراب الزاهرة(٤١) .

أما في عصر الطوائف بالأندلس، فقد كثرت فيه مشاكل اليهود، وأخذت شكلاً أكثر خطورة وتأثيراً في الحياة السياسية العامة، مستغلين بذلك حالة الإنقسام، التي وقعت في صفوف العرب في الأندلس، فراحوا يتدخلون في كل أمر يستطيعون من خلاله إثارة نار الفتنة والخلاف بين حكام دول الطوائف، وبينهم وبين بعض رجال إدارتهم. فعلى الرغم من الصداقة، التي بدأت بين المعتمد بن عباد، وبين الوزير ابن عمار في إشبيلية منذ أن كانا صغيرين، فقد تمكن الواشون من الوقيعة بينهما، وكانوا من اليهود الذين حصلوا على نسخة من

قصيدة لإبن عمار يهجو فيها المعتمد، وأرسلوها إلى حاضرة المعتمد، فتوترت الأمور بين الرجلين، حتى غدا الإصلاح بينهما ضرباً من المحال[٤٢] . وقام بعض اليهود بالتدخل في الصراع بين زعماء إشبيلية وزعماء طليطلة، حينما هاجم المعتمد بن عباد مدينة قرطبة سنة ٤٦١هـ / ١٠٦٩م ، وتمكن من السيطرة عليها، وجعل فيها ابنه سراج الدولة عباد بن محمد، ومعه القائد العسكري ابن مرتين. وفي سنة ٤٦٧هـ / ١٠٧٥م، هاجم حاكم طليطلة ابن ذي النون قرطبة بوساطة قائده حكم بن عكاشة الذين تمكن من الدخول إلى المدينة وقتل ابن عباد، وفر ابن عكاشة دون مقاومة، ولما وصل إلى القنطرة[٤٣] ، في مدينة قرطبة ، قتله رجل يهودي من سكان قرطبة[٤٤] .

ولما بدأت كفة الإسبان ترجح في الأندلس، تحول اليهود عن العرب، بعد أن وجدوا ذلك ضرورياً جداً لتحقيق مصالحهم العامة، وعملوا عند الإسبان في الكتابة والوزارة وشتى أنواع وفروع الخدمة العامة. وقد أشار إلى ذلك بوضوح حاكم قشتالة وليون قبل معركة الزلاقة بوقت قصير بقوله : « الجمعة لكم ، والسبت لليهود، وهم وزراؤنا وكتابنا، وأكثر خدم العسكر منهم، فلا غنى لنا عنهم ... »[٤٥] . وحينما كانوا يظفرون بالعرب، أو تسمح الفرصة لهم بالتحكم بهم، فإنهم كانوا يعاملونهم معاملة قاسية. فعلى سبيل المثال، تمكن الاسبان من السيطرة على بلنسية سنة ٤٨٧هـ / ١٠٩٢م، ووضعوا على رأس ادارتها رجلاً من اليهود. ذكر ابن علقمة في رواية له ينقلها ابن عذاري في كتابه (البيان المغرب) يقول : « ؟؟؟؟؟ اليهودي لعنه الله من المسلين مبلغ الغاية في العذاب، وسلط اليهود على الاسلام، فبلغوا النهاية في النكال والنكاية، ومنهم الأمناء الموكلون، والمتصرفون وأصحاب الرسوم، وخدام البر والبحر. وجلس

اليهودي للقبض بباب المدينة من الغرب بالعصا والسوط »[٤٦] .

أما في الفترة التي جاءت بعد انتهاء عصر الطوائف، والتي دامت حتى سنة ٦٦٨هـ / ١٢٧٠م، فإن وضع اليهود في المغرب والأندلس تحول إلى شكل آخر غير الذي كان في العصور السابقة. فقد ضيق المرابطون على اليهود بحجة أنهم أقاموا بأعداد كبيرة في منطقتين، هما سجلماسة وأغمات الواقعتين في جنوب المغرب الأقصى كبوابتين لتجارة الذهب عبر الصحراء مع بلاد الأندلس وما يليها من البلدان الأوروبية الأخرى، ومع بلدان أفريقية السوداء. فقام يوسف بن تاشفين بممارسة ضغط كبير على اليهود في مراكش عاصمة المرابطين القريبة من أغمات. وكانت أشد وسائل الضغط، تلك التي تمثلت باجبارهم على اعتناق الاسلام بالقوة، لكنهم قاوموا ذلك بوسائل مختلفة، كمحاولتهم دفع مبالغ مالية طائلة في سبيل إعفائهم من أمر اعتناق الإسلام، وإعطائهم الحرية والخيار في هذه المسألة الحساسة في حياتهم[٤٧] .

وخلال دخول يوسف بن تاشفين إلى الأندلس في المرة الرابعة سنة ٤٩٥هـ / ١١٠٢م ، توجه إلى اليسانة، وكانت مركز التعامل الرئيس بالذهب، وبعد مفاوضات مع يهود هذه البلدة، توصل الفقيه ابن حمدين إلى اتفاق معهم، يدفعون بموجبه مبلغاً مالياً محترماً، مقابل أن تترك لهم الحرية بممارسة طقوسهم الدينية كاملة [٤٨] .

وفي عصر الموحدين، الذي استمر لفترة طويلة إلى حد ما[٤٩] ، بقي أمر عدم الاعتماد على اليهود قائماً، حتى أنه كان أشد مما كان عليه في عصر المرابطين، لأن الموحدين لم يختلفوا عن المرابطين في مسألة حشر العقيدة الدينية في قضايا الحكم. ففي زمن أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن، فرض

على اليهود أن يرتدوا لباساً خاصاً يميزهم عن غيرهم. ويتكوّن هذا اللباس من قماش ذي لون كحلي، وأكمام مفرطة السعة، تصل إلى قريب من الأقدام، وبدلاً من العمائم، كلوتات على أشنع صورة كأنها البراديع، تبلغ إلى تحت الأذنين [٥٠] .

وكانت نتيجة هذه السياسة بشكل عام سلبية، لأنها أثارت حقد اليهود على العرب المسلمين. فقد كانوا يتحينون الفرصة للإنتقام، وقد أتيحت لهم فرصة في عصر الموحدين، كانت في غرناطة، حينما أعلن ابراهيم بن همشك عصيانه على الموحدين، لأنه كان يتطلع إلى السيطرة علىغرناطة. وفي نهاية الأمر لجأ إلى المكر والخديعة، وتوجه إلى اليهود، وعقد معهم مؤامرة، يقومون بموجبها بمساعدته على دخول غرناطة، والقاء الحصار على قلعتها، التي كان المدافعون من الموحدين قد تجمعوا فيها. وعلى أثر ذلك جرت معركة في مرج الرقاد بالقرب من غرناطة، انهزم فيها الموحدون وتكبدوا خسائر كبيرة في النفوس والأموال والسلاح. وكان ذلك سنة ٥٥٧هـ / ١١٦٢م[٥١] .

ولما تقلصت رقعة السيطرة العربية في الأندلس، وانحصرت في ولاية غرناطة تحت حكم بني الأحمر أو بني نصر ، عادت المعاملة الطيبة إلى الظهور والتطبيق بشكل لم تعهده الأندلس إلا في زمن القوة، ولابد أن ذلك يعود إلى النضوج الذي اشتهر به النصريون على الصعيد السياسي والحضاري، فقد عدوا اليهود في بلادهم مواطنين، يمكن ضبطهم وتحويل أكثر أعمالهم إلى الصالح العربي العام[٥٢] ورغم هذه المعاملة الطيبة، التي عبّرت عن رقي العرب وأهليتهم لقيادة غيرهم، فقد راح اليهود يحشرون أنفسهم في الأمور السياسية العامة للدولة الغرناطية. فعندما توفي الحاكم الغرناطي الغني بالله بن الأحمر سنة ٧٩٣هـ / ١٣٩١م،

خلفه في الحكم ابنه أبو الحجاج يوسف بن الأحمر، فقام بأمره رجل اسمه (خالد) مولى أبيه، وقبض على إخوته سعد ومحمد ونصر، فكان آخر العهد بهم، و لم يوقف لهم بعد على خبر. وبعد فترة وجيزة، سعي عنده في خالد هذا، واتهم على أنه يعد السم لقتله، ويبدو أن ذلك كان صحيحاً، لأن الطبيب يحي بن الصائغ اليهودي طبيب الدار السلطانية، قد داخله في ذلك، فقتل خالد، ثم حبس الطبيب ابن الصائغ، وذبح فيما بعد في محبسه حتى الموت[٥٣] .

وفي ميدان العلوم العامة أيضاً، شغل اليهود في الأندلس والمغرب مكانة خاصة، ذلك لأن الأندلس بخاصة، أزدانت بالمؤسسات التعليمية في كافة الاختصاصات، وكان باستطاعة أي انسان طلب المعرفة في الاختصاص الذي يتناسب مع ميوله الشخصية. فاليهود موضوع هذا البحث، لم يقدموا عبر تاريخ الإنسانية الطويل مساهمات مؤثرة في تقدم الحضارة العام، وأكثر مدوناتهم مأخوذة عن الثقافات القديمة وعن النصوص، التي خلفها السومريون والكنعانيون والأكاديون والبابليون والآشوريون وأخيراً الأندلسيون والمغاربة. ويؤكد ذلك الدكتور اليهودي اسرائيل ولفنسون بقوله : « إن يهود بلاد العرب ، لم يظهروا شيئاً من النبوغ والعبقرية مطلقاً. و لم يشتهر من بينهم شخصية واحدة في كل عصورها بالرقي الفكري »[٥٤] .

ويؤكد هذه الحقيقة غوستاف لوبون بقوله : « لم يكن لليهود فنون ولاعلوم ولاصناعة، ولا أي شيء تقوم به حضارة. واليهود لم يأتوا قط بأي مساعدة مهما صغرت في إشادة المعارف البشرية. واليهود لم يجاوزوا قط الأمم شبه المتوحشة التي ليس لها تاريخ[٥٥] .

وإذا كان اليهود قد برعوا في علم من العلوم خلال فترة هذا البحث، فالفضل في ذلك يعود إلى العرب، الذي انتقلوا بإسبانية من عهود الظلام إلى عهود النور والتقدم. وما أنتجوه من ثقافة وماترجموه من كتب إلى اللاتينية والعبرية، فقد حصل من جراء اهتمامهم بعلوم العرب، كمواطنين في دولتهم، كان عليهم اكتساب المعارف العربية لتحسين أوضاعهم العامة. وهذا ماحدث بالفعل على أرض الواقع، لأنهم كانوا أدرى من غيرهم في حقيقة هذه الأمور. وباختصار فإن المحصلة اليهودية العلمية، هي في النهاية محصلة عربية خالصة، ذلك لأن اليهود ماكان لهم أن يتعلموا علوم العرب لولا دخولهم إلى الأندلس وبقاؤهم فيها لفترة طويلة. كان في مقدمة العلوم التي برعوا فيها إلى حد ما، العلوم الطبية، التي عمت الأندلس عن طريق العرب، وكان اليهود يفضلونها على غيرها، لأنها أقرب مصدر لتوفير المال والجاه في زمن كان الأطباء فيه قليلين جداً. ومع ذلك فإن الأطباء اليهود، اقتصروا في معظم الأوقات على مسألة المداواة، بعكس الأطباء العرب، الذي جمعوا بين ممارسة الطبابة والمداواة، وبين التأليف المبدع القائم على التجربة وبعض التقانات، التي كانت من أرقى ماعرفه العالم خلال العصور الوسطى.

ومن الأطباء اليهود، الذين اشتهروا خلال هذه الفترة، الطبيب حسداي بن شبروط، الذي عاصر الخليفة الناصر لدين الله الأموي المتوفى سنة ٣٥٠هـ / ٩٦٢م. واهتم هذا الطبيب بشكل خاص بتفسير عقاقير يستوريدس[٥٦]. وكذلك الطبيب مروان بن جناح، الذي كان أفضل من ابن شبروط بصناعة الطب، ذلك لأنه قام بتأليف حسن في الأدوية المفردة[٥٧]. ومثلهما الطبيب اسحق بن قسطار في طليطلة ومناحيم بن الفوال في سرقطة[٥٨]. وحسداي بن

يوسف السرقطي، وابن بكلارش وغيرهم من الذين عملوا عند الإسبان، مثل ابراهيم بن الفخار، الذي اشتغل في طليطلة في عصر الموحدين، وابراهيم بن زرزر الغرناطي، الذي التجأ إلى حاكم قشتالة في أواخر عمره(٦٠) ويوسف بن وقار الطليطلي في قشتالة(٦١) .

إلى جانب علم الطب، فقد أثرت الثقافة العربية الاسلامية في ظهور بعض اليهود في ميدان علم الفلك والرياضيات. ففي الفلك، اشتهر بعض تلامذة مسلمة المجريطي، مثل أحمد بن عبد الله الغافقي اليهودي المتوفى سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٥م . وقد وضع زيجا مختصراً على مذهب السندهند سماه (مختصر الزيج) وكتب رسالة الإسطرلاب والأسماء الواقعة عليها(٦٢) .

أما في مجال الفلسفة، فقد تفوق اليهود فيه من خلال اهتمامهم الجاد بالفلسفة العربية، التي كان لها رجالها المعروفين بآرائهم الجدية وأفكارهم الواقعية، التي تعتمد على الطريقة العقلانية، والفكر المبني على التسلسل المنطقي، الذي يجانب في معظمه الغيبيات والأوهام، التي لاقيمة لها في حياة البشر العامة.

كان من فلاسفة اليهود في الأندلس، سليمان بن جابيرول المتوفى سنة ١٠٥٨م في بلنسية، وهو يشبه سلفه ابن مسرة، الذي أدخل إلى الغرب نظاماً باطنياً للكتابة، حيث تتخذ الكلمات معنى داخلياً غامضاً لايفهمه إلا العارفون بالأسرار. وله من الكتب (ينبوع) وكتاب (إصلاح الأخلاق)(٦٣) . ومنهم مناحيم بن الفوال، الذي تفوق على ابن جابيرول بوضع مؤلفات هامة منها (كنز المقل) رتبه على المسألة والجواب، وضمنه جملاً من قوانين المنطق وأصول الطبيعة(٦٤) . ومنهم أيضاً يوسف بن صديق ديان اليهود (قاضي اليهود) المتوفى سنة ٥٤٣هـ / ١١٤٩م، الذي ألف كتاباً في المنطق، وآخر في الفلسفة الدينية

سماه (الكون الأصغر)، وكلاهما باللغة العربية، وكان ابن صديق مطلعاً على كتابات أفلاطون وأرسطو ورسائل إخوان الصفا[٦٥] وبشكل عام فالفلسفة اليهودية في الأندلس، هي تلميذة الفلسفة العربية، ولاسيما فلسفة ابن رشد، التي كانت دعامة الفكر الفلسفي اليهودي حتى عصر النهضة[٦٦] .

يضاف إلى اهتمام اليهود في العلوم، اهتمامهم في الترجمة، التي بدأت في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي. كان في مقدمة من اهتم بالترجمة ابراهيم بن عزيز الطليطلي المتوفى سنة ١١٦٧م، الذي نقل كتباً ألفها اليهود باللغة العربية، ومنهم يهوذا بن شاول بن ثيون المتوفى سنة ١١٩٠م، الذي قام بنقل كتاب (إصلاح الأخلاق) لابن جابيرول وغيرهم كثيرون[٦٧] .

ومن اللافت للإنتباه في هذا المضمار، أن اليهود الذين عملوا في الترجمة، استهوتهم ترجمة أعمال العرب أنفسهم في مجال علوم اللغة العربية، التي كانت أداة الفكر في ذلك العصر .

أما في حقل التجارة، فقد كان الأمر يختلف اختلافاً جذرياً، حيث برز نشاط يهود الأندلس بشكل واضح. فقد كانت لهم في كل مدينة أو بلدة حوانيتهم الخاصة، التي كانت مصدر أرباح كبيرة بالنسبة لهم. لكن اللافت للانتباه، أنهم تفوقوا على جميع فئات السكان في الأندلس والمغرب في التجارة العامة، وبشكل خاص في تجارة العبيد، التي كانت من التجارات المزدهرة في ذلك الوقت في عدد من البلدان في الشرق والغرب، ومنها الأندلس التي شغلت مكانة مرموقة على هذا الصعيد. فقد كان العبيد الصقالية، الذين يشترون للخدمة العامة في الجيش والقصور وغير ذلك، يجلبون من يوغسلافية وبلغارية وصقلية وسردينية وغيرها، وكان اليهود هم الذين يقومون بهذه المهمة. وقد ذكر أنهم

كانوا يخصونهم في معامل خاصة أقيمت لهذه الغاية، كمعمل فردون في فرنسة، وغالباً ماكانوا يأتون بهم وهم صغار(٦٨) .

ولعل أهم الأدلة على ممارسة يهود الأندلس لهذه التجارة الرابحة، أنهم كانوا يذهبون إلى مواقع حدوث المعارك، وينتظرون بترقب نتائج المعارك بين العرب والاسبان، حتى يشتروا أسرى الطرف المهزوم بأبخث الأثمان وأقلها، وبعد ذلك يقومون بعرض هؤلاء الأسرى على جهتهم الأصلية. وحينما كانت هذه الجهة تقرر شراء أسراها، كانوا يفرضون الثمن الذي يريدونه دون شفقة أو رحمة(٦٩) .

ووصل اليهود في تجارتهم إلى العديد من المناطق الأوروبية، مثال ذلك التاجر الرحالة ابراهيم بن يعقوب الطرطوشي الإسرائيلي، الذي تركزت أعماله في أوروبة على الرقيق وبعض البضائع الأخرى. فوصل في تجارته إلى فرنسة وألمانية وهولندة وبولندة وبلغارية وتشكيوسلوفاكية وغيرها(٧٠) .

و لم يتورع يهود الأندلس والمغرب عن استخدام أية وسيلة، كانوا يأملون من ورائها تحقيق منفعة ما أو ربح معين، لأن التجارب والأيام علمتنا أن اليهود لايأبهون إلا بمصالحهم الخاصة، حتى ولو أنها جاءت على حساب غيرهم من فقراء الناس. من هذه الوسائل القبيحة، أنهم كانوا يرهنون الأسرى مقابل مبلغ مالي معين إلى أمد معين، يجعلهم أحراراً في التصرف بالأسرى، إذا لم يسترجعوا المال المودع عند أصحاب الرهائن. وكانوا اضافة إلى ذلك، يقومون بإقراض أموال معينة إلى آجال محددة مقابل فوائد مختلفة(٧١) . وتدل على هذا الواقع المخزي الوثائق الكثيرة، التي لاتعد ولاتحصى في مدينة طليطلة وضواحيها، حيث شكل اليهود مجموعة كبيرة من المرابين النشيطين، فمن يذهب حتى اليوم إلى هناك، يقف على شواهد ماثلة، تدل بوضوح على ماكان لهم من أهمية بالغةفي

بمجتمع طليطلة[٧٢] .

إضافة إلى كل ذلك، فقد كان اليهود في قشتالة وغيرها من أماكن السيطرة الإسبانية، ينعمون باحترام كبير، لخبرتهم المالية والتجارية، ويظهر ذلك جلياً من خلال استخدام الإسبان لهم في مسألة تخمين وتقدير أثمان وقيم الاراضي، التي كانت تعرض للبيع. فقد كانت تشكل لجنة تخمينية خبيرة من أربعة أشخاص، اثنين من الإسبان، واثنين من اليهود، يقومون بتقدير قيمة الأرض ويتقاضون على ذلك أجراً معيناً أو نسبة ما، لايعرف مقدارها على وجه التحديد[٧٣] . كما عملوا في بعض المجالات الصناعية الهامة في ذلك العصر وبخاصة صناعة الحرير، التي اشتهر فيها يهود البوجارا بشكل خاص[٧٤] .

وفي الختام نقول، إن كل ماتقدم من معلومات وأخبار عن حياة اليهود في المغرب والأندلس خلال العصور الوسطى، لايشكل إلا جزءاً يسيراً من تلك الأعمال المتعددة، التي قاموا بها تحت المظلة العربية الإسلامية، التي وفرت لهم كل أسباب الحياة والحرية. ورغم ذلك فقد ضربوا بكل هذا عرض الحائط، فلم يتأخروا بانزال الضرر بالعرب، في كل مناسبة ساعدتهم فيها الظروف منذ بداية عهد العرب في الأندلس، مثال ذلك أن دخول العرب إلى شمال أفريقية، هو الذي جدد آمال اليهود في إستعادة مكانتهم المنهارة، عن طريق تحريض العرب للدخول إلى أوروبة، التي كانت مركز ثقل للمسيحية. وكان هدف اليهود الاستراتيجي من وراء ذلك، هو اطالة أمد الصراع بين المسيحية، التي كان اليهود يضمرون لها أقبح النيات، وبين الإسلام الذي أدى ظهوره وانتشاره في المشرق العربي إلى تقليص نفوذهم على كل الصعد، فيخرج الطرفان من النزاع منهوكي القوى، فينقض عليهما اليهود بسهولة، ويقررون مايرونه مناسباً لمستقبلهم العام .

هذه هـي صـورة اليهـود، الـتي لم تتغـير طـوال حكـم العـرب في الأندلـس، ولانظن أنها ستتغير في مسـتقبل الأيـام. فقـد كـان اليهـود في الأندلـس والمغـرب وسيظلون إلى الأبد مجموعة بشرية، لاتعـرف الوفـاء والأمـان، ولاتلـتزم بـالعهود والمواثيق .

هذا مايجب أن ندرسه نحـن العـرب بعنايـة فائقـة، لأن أخطـر مايواجهنـا في الحاضر والمستقبل، أمر وجود اليهود قريبين منـا. فقـد تمكنـوا أن يسـتغلوا دولـة العرب القوية في الأندلس لصالحهم، في وقت كان العـرب سـادة العـالم، فكيـف سيكون الأمر في هذا الزمن، والعـرب يعـانون مـن داء التدابـر والضعـف في كـل الميادين .

الحواشي

١ ـ يوسف فرحات ـ **غرناطة في ظل بني الأحمر** طبعة أولى، دار الجيل ١٩٩٣ ص٩٧. **امبراطورية الخزر وميراثها** ـ صدر عن مكتب دراسات فتح ١٩٨٠ ص٢٢ وانظر روجر أرنالديز ـ **مجلة المغرب الاسلامي والمتوسط** ، العدد الأول، ١٩٧٣، ص٤١ .

٢ ـ عمر فروخ ـ **العرب والاسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط** طبعة ثانية، بيروت دار الكتاب العربي، ١٩٨١ ص١٧٩ .

٣ ـ عمر فروخ ـ **المرجع السابق** ص٧٧ ـ ٧٨ .

٤ ـ آرنولدتوينبي ـ **مختصر دراسة للتاريخ** ج٣ ترجمة فواد محمد شبل طبعة القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر طبعة أولى، ١٩٦٤ ص٣١٩ ـ ٣٢٠ .

٥ ـ عمر فروخ ـ **تاريخ صدر الاسلام والدولة الأموية** ، طبعة رابعة، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٧٩ ص١٥٤ .

٦ ـ الحميري (محمد بن عبد المنعم) **الروض المعطار** تحقيق ليفي بروفنسال ، طبعة القاهرة، لجنة التأليف ١٩٣٧ ص٢٣ .

٧ ـ الإدريسي (محمد بن محمد) **صفة المغرب** . تحقيق دوزي ودي خويه ـ ليدن بريل ١٩٦٨ ص٢٠٥ .

٨ ـ مؤلف مجهول ـ **الحلل الموشية** ، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، الدار البيضاء دار الرشاد الحديثة ١٩٧٩ ص٨٠ .

٩ ـ شكيب أرسلان ـ **الحلل السندسية** ج١ طبعة أولى، فاس المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٦ ص٣٩٥ ـ مؤلف مجهول ـ **الحلل الموشية في الأخبار الأندلسسية** ص٥٧ .

١٠ ـ عمر فروخ ـ **العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض** المتوسط، ص١٨٦ .

١١ ـ ليفي بروفنسال ـ **الإسلام في المغرب والاندلس** ـ ترجمة السيد سالم وصلاح حلمي، طبعة النهضة مصر ١٩٥٦ ص٦٤ ، ابن الفرضي (عبد الله بن محمد) **تاريخ علماء الأندلس** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة القاهرة ١٩٦٦، ج١ ص١٢٧ . وانظر أيضاً روجر أرنالديز ـ **مجلة المغرب الإسلامي والمتوسط** العدد الأول ١٩٧٣، ص٤١ ـ ٤٨ حيث اضاف أن لليهود وجود في باجة وقادس .

١٢ ـ د.م دنلوب ـ **تاريخ يهود الخزر** ـ ترجمة الدكتور سهيل زكار طبعة ثانية دمشق دار حسان ١٩٩٠ ص١٧٩ .

١٣ ـ علي أحمد ـ **تاريخ المغرب العربي الإسلامي** ، طبعة جامعة دمشق ١٩٩٢ ص٣٩ .

١٤ ـ ابن أبي زرع ـ **الأنيس المطرب بروض القرطاس** ، ص٨٥ .

١٥ ـ ابن حوقل (محمد الموصلي) **صورة الأرض** قسم ٢طبعة ثانية، ليدن ١٩٣٨ ص٧٠ ، وانظر أيضاً ج. ف. ب. هوبكنز ـ **النظم الإسلامية في المغرب في القرون الوسطى** ترجمة أمين توفيق الطيبي ـ طبعة ليبية وتونس الدار العربية للكتاب ١٩٨٠ ص٦٩ .

١٦ - صاعد الأندلس طبقات الأمم . تحقيق حياة بوعلوان طبعة بيروت ١٩٨٥ دار الطليعة ص٢٠٣ - ٢٠٤ . آنخل جنثالث بالنثيا ـ **تاريخ الفكر الأندلسي** ، ص٤٩٨ .

١٧ - ابن بسام (الشنتريني) **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** ، قسم ١ مجلد٢ مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٤٢ ص٢٦٦ - ٢٧ .

١٨ - ابن بسام - **المصدر السابق** ص٢٧٠ .

١٩ - الأمير عبد الله - **مذكرات الأمير عبد الله المسماة بكتاب التبيان** تحقيق ليفي بروفنسال، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ص٤٨ ـ ٥٥ ، ابن بسام **المصدر السابق** ص٢٧١ - ٢٧٤ ، ابن عذاري (المراكشي) **البيان المغرب** ج٣ ، اعتنى بنشره ليفي بروفنسال طبعة باريس، ١٩٣٠ ص٢٣١ .

٢٠ - ابن الخطيب (لسان الدين) **الاحاطة في أخبار غرناطة** ، ج١ تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي القاهرة ١٩٥٥ ص٤٣٧ ، وانظر أيضاً للمؤلف نفسه **تاريخ اسبانية الاسلامية أو أعمال الأعلام** تحقيق ليفي بروفنسال، طبعة ٢بيروت ، دار المكشوف ١٩٥٦ ص٢٣٠ - ٢٣١ .

٢١ - ابن بسام - **الذخيرة** ج١ ص١٢٢ .

٢٢ - دوزي - **ملوك الطوائف** ـ ترجمة كامل الكيالي ، طبعة أولى القاهرة ، مكتبة عيسى البابي الحلبي ١٩٣٣ ، ص٣٩ - ٤٧ .

٢٣ - الأمير عبد الله - **كتاب التبيان** ص١٣٠ .

٢٤ - ابن سعيد (علي) **المغرب في حلي المغرب** ج٢ تحقيق شوقي ضيف طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٥ ص٤٤١ - ٤٤٤ .

٢٥ - أحمد بدر - **تاريخ الأندلس** طبعة دمشق ص١٧٤ .

٢٦ ـ المقري (التلمساني) **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب** ، ج١ تحقيق احسان عباس، طبعة دار صادر بيروت ١٩٦٨ ص٤٣٩ ، مؤلف مجهول ـ **الحلل الموشية** ص٤١ ـ ٤٢ . وانظر ابن الخطيب **تاريخ اسبانية أو أعمال الاعلام** ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ ودوزي **ملوك الطوائف** ص٢٦٧ ـ ٣٦٨، وقد طلب ابن شاليب اضافة لذلك السماح لزوجة الفونسو بالاقامة في مدينة الزهراء بعد أن تضع مولودها في جامع قرطبة .

٢٧ ـ شكيب أرسلان، **المرجع السابق** ج١ ص٤٢٠ و٤٢١ و٤٣٤ ، وانظر الأمير عبد الله **كتاب التبيان** ص٣٦ ومابعدها .

٢٨ ـ ولتر ج. فيشل ـ **يهود في الحياة الاقتصادية والسياسية الاسلامية في العصور الوسطى** ، ترجمة سهيل زكار، طبعة بيروت دار الفكر ١٩٨٨ ص٧٨-٧٩ .

٢٩ ـ ولتر .ج. فيشل ـ **المرجع السابق** ص٩٤ ـ ٩٥ .

٣٠ ـ الناصري ـ **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى** ج٣ تحقيق جعفر ومحمد الناصري، طبعة الدار البيضاء دار الكتب ١٩٥٤ ص٨٠ ـ ٨١ .

٣١ ـ الناصري ـ **المصدر السابق** ج٣ ص١٠٠ .

٣٢ ـ الناصري ـ **المصدر السابق** ج٤ طبعة الدار البيضاء دار الكتاب ١٩٥٤ ص٩٨ ـ ١٠٠ .

٣٣ ـ خير الله طلفاق ـ **حضارة العرب في الأندلس** ، طبعة دار الحرية بغداد ١٩٧٧ ، ص٨٨ و١٠٨ ـ ١٠٩ .

٣٤ ـ خير الله طلفاق ـ **المرجع السابق** ص١٣٤ .

٣٥ ـ الناصري ـ **الاستقصا لأخبار المغرب الأقصى** ج١ ص١١٩ .

٣٦ ـ ابن عذاري ـ (المراكشي) **البيان المغرب** ج٢ طبعة بيروت دار صادر ١٩٥٠ ، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

٣٧ ـ ابن بسام ـ **المصدر السابق** ص٦٨ .

٣٨ ـ ابن حيان (أبو مروان) **المقتبس في تاريخ رجال الأندلس** ، ص٤٦٣ .

٣٩ ـ ابن عذاري ـ **المصدر السابق** ج٣ ص٧٧ ـ ٧٨ ابن الخطيب ـ **تاريخ اسبانية الاسلامية أو أعمال الاعلام** ص١١٢ .

٤٠ ـ تقع هذه المدينة على بعد ستة كيلومترات إلى الشرق من قرطبة ، بناها المنصور محمد بن أبي عامر تعبيراً عن مساواته للخلفاء ، ورغبة منه في إقامة مقر خاص له ، يكون مركزاً لادارته ، ومخازنه السلطانية .

٤١ ـ ابن عذاري ـ **المصدر السابق** ج٣ ص٦٥ .

٤٢ ـ دوزي ـ **المرجع السابق** ص٢٥٥ ومابعدها .

٤٣ ـ القنطرة عند الأندلسيين هي الجسر ، وقد أقيمت هذه القنطرة على الوادي الكبير في عصر الولاة .

٤٤ ـ ابن الخطيب ـ **تاريخ اسبانية الاسلامية أو أعمال الاعلام** ص١٥٨ ـ ١٥٩.

٤٥ ـ دوزي ـ **المرجع السابق** ص٢٩١ .

٤٦ ـ ابن عذاري ـ **المصدر السابق** ج٤ ص٤١ .

٤٧ ـ الحميري (محمد بن عبد المنعم) **الروض المعطار في خبر الأقطار** تحقيق احسان عباس طبعة بيروت ١٩٧٥ ص٤٦ و٣٠٦ ـ أشباخ (يوسف) **تاريخ الأندلس** ترجمة محمد عبد الله عنان طبعة القاهرة ١٩٣٩ ص١٢٠ .

٤٨ ـ مؤلف مجهول ـ **الحلل الموشية** ص٦٥ ـ ٦٦ .

٤٩ ـ استمر حكم الموحدين في المغرب والأندلس حتى سنة ٦٦٨هـ .

٥٠ ـ المراكشي (عبد الواحد) **المعجب في تلخيص أخبار المغرب** تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي طبعة أولى ــ القاهرة ١٩٤٩ ص٣٠٤ ــ ٣٠٥ .

٥١ ـ ابن صاحب الصلاة (عبد الملك) **المن بالاقامة** تحقيق عبد الهادي التازي طبعة أولى دار الأندلس بيروت ١٩٦٤ ، ص١٨٦ ومابعدها .

٥٢ ـ شكيب أرسلان ـ **المرجع السابق** ج٢ ص٣٣٠ .

٥٣ ـ الناصري ـ **المصدر السابق** ج٤ ص٨١ .

٥٤ ـ أحمد سوسة ـ **العرب واليهود في التاريخ** طبعة دمشق ١٩٧٥ ص٣٩٦ .

٥٥ ـ أحمد سوسة ـ **المرجع السابق** ص٣٩٧ .

٥٦ ـ ابن جلجل (سليمان بن حسان) **طبقات الأطباء والحكماء** تحقيق فؤاد سيد طبعة المعهد الفرنسي القاهرة ١٩٥٥ ص(س) ـ جورج حداد ـ **المدخل إلى تاريخ الحضارة** ص٥٢٦ .

٥٧ ـ صاعد الأندلسي ـ **المصدر السابق** ص٢٠٤ .

٥٨ ـ صاعد الأندلسي ـ **المصدر السابق** ص٢٠٤ ـ ٢٠٥ .

٥٩ ـ صاعد الأندلسي ـ **المصدر السابق** ص٢٠٦ .

٦٠ ـ علي بن سعيد ـ **المصدر السابق** ص٢٣ ابن الخطيب ــ **نفاضة الجراب** تحقيق أحمد مختار العبادي وعبد العزيز الأهواني ، طبعة القاهرة دار الكتاب العربي ص١٩ .

٦١ ـ ابن الخطيب ـ **تاريخ اسبانية الإسلامية أو أعمال الاعلام** ص٣٢٢ .

٦٢ ـ **موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين** طبعة موسسة المعارف بيروت ص١٢٣ .

٦٣ ـ جورج **حداد المدخل إلى تاريخ الحضارة** ص٥٢٦ ـ ٥٢٧ .

٦٤ ـ صاعد الأندلسي ـ **المصدر السابق** ص٢٠٤ .

٦٥ ـ آنخل جنثالث بالنثيا ـ **المرجع السابق** ص٤٩٨ .

٦٦ ـ ابراهيم مذكور ـ **في الفلسفة** ـ بحث منشور في كتاب أثر العرب والإسلام في النهضة الأوروبية طبعة الهيئة المصري العامة للكتاب ١٩٨٧ ص١٥٥ .

٦٧ ـ عمر فروخ ـ **أثر الفلسفة الاسلامية في الفلسفة الأوروبية** طبعة بيروت ١٩٥٢ ص٢٢ و ٣٢ .

٦٨ ـ المقري **نفح الطيب** ج٢ ص١٤٠ ـ ابن حوقل ـ **صورة الأرض** ط٢ ليدن ١٩٣٨ ص١١٠ ـ شكيب أرسلان **المرجع السابق** ج١ ص٤٦ .

٦٩ ـ شكيب أرسلان **المرجع السابق** ج٣ طبعة فاس المكتبة التجارية الكبرى ١٩٣٩ ص٤٨١ ـ ٤٨٢ .

٧٠ ـ **موسوعة العلوم الاسلامية والعلماء المسلمين** ص١٨٤ .

٧١ ـ شكيب أرسلان ـ **المرجع السابق** ج١ ص٤٠٥ ـ ٤٠٦ .

٧٢ ـ شكيب أرسلان ـ **المرجع السابق** ج١ ص٤٢٠ ـ ٤٢١ .

٧٣ ـ أشباخ ـ **المرجع السابق** ج١ ص١٣٥ .

٧٤ ـ انظر عن ذلك روجر **أرنالديز المرجع السابق** ص٤١ ـ ٤٨ .